

2_ الثنائيات اللسانية

للدكتور الراجي الهاشمي

بقلم : أحمد منجي

في اللسانيات الحديثة وفي القراءات القرآنية يعمل جاهدا بواسطة هذه السلسلة على التعريف بالنشاط اللساني الحديث بدارسه المختلفة في الغرب والشرق، ولكنه يحرص كل الحرص على ربط هذا الدرس اللغوي الحديث الذي يجب ، في نظره أن يحتل مكانة مرموقة في الجامعات العربية ، بالنشاط النيلولوجي عند العرب .

يتول ذلك بصريح العبارة في مقدمته لهذا الكتاب ويطبقه بأمثلة كثيرة داخل الكتاب . يقول في المقدمة : « سيلاحظ القارئ الكريم أنني ، وكما أعدت في العديدين السابقين حاولت أن أمزج بين نظريات من النشاط النيلولوجي القديم وبين نظريات من الدرس اللغوي الحديث : فأديت الأولى بقدر المستطاع ، وأخضعت الثانية لتأموس اللغة العربية . ولم أرد أن أرتسى ، في لحظة واحدة في احضان نظريات حديثة ، براقة جدا من النشاط السيميولوجي : خوفا من أن أسيء إلى اللغة العربية وأهلها الذين لم يتصلوا بعد ، بالقدر الذي فيه الكفاية : بهذا النوع من البحث ، ولكنني أعبل جدا في تهيء هذا الاتصال الذي أرجو أن يكون

كتاب جديد يحمل الرقم ثلاثة في سلسلة الدراسات اللغوية التي يصدرها الاستاذ الدكتور التهامي الراجي الهاشمي .

الكتاب عبارة عن محاضرات القاها الاستاذ التهامي الراجي في كلية الآداب بالرباط . يتكون الكتاب من ستة فصول :

موضوع الفصل الاول : الثنائيات المستعملة في اللسانيات الحديثة : أما الفصل الثاني فمخصص للثنائية : لغة / كلام . والفصل الثالث لـ : « تزامني تاريخي » . والفصل الرابع لـ « كفاءة / نشاطية » . والفصل الخامس ، يبحث في البنية العميقة والبنية السطحية في الدلالة التوليدية وعلاقتها بالثنائية : لغة / خطاب . أما الفصل السادس والأخير فقد بحث فيه المؤلف قضية : اللغة / خطاب في مدرسة لسانيات الموقف التي يتزعمها كوسطاف كيوم والتي يطبق فيها المنهج العلمي المعروف بـ « النفسى الآلى للحديث » ولقد أعطى الدكتور التهامي الراجي في آخر مؤلفه لائحة بالمصطلحات العلمية التي عربها في هذا الجزء . ومعلوم ان الدكتور التهامي الراجي المتخصص

سريعا وموفقا بفضل الجميع .

وهو يطبق هذه الأطروحة التي عرضها بحماس في العددين الأول والثاني من هذه السلسلة حتى على أرقى النظريات الحديثة المتضاربة مثل : كفاءة / نشاطية أو لغة / خطاب ، بدءا من اللسانيين التقليديين التي التوليديين مروراً بلسانيات الموقف وغيرها وهو في هذا الفصل ، مثلا ، وهو الفصل الرابع يصحب هذه النظريات المحققة بالأمثلة العربية الكثيرة وبرسوم بيانية توضحها كاحسن ما يكون التوضيح .

ويعجبنا في المؤلف بعده عن التعصب لأطروحاته ، وكم كان يبيننا حين كنا طلابا عنده في السلك الثالث الى التحلى بالروح العلمية وكان يقول لنا ، بعد ان يشرح لنا النظرية من جميع جوانبها الى ان تصبح عندها مسألنة ، واضحة لا غبار عليها : يجب ان نعلم الآن عنها كل شيء ونحبها ونعرف تطبيقاتها ، لكنه يجب ان نكون دوما مستعدين للتنازل عنها ان بدا عيب فيها او منهج أرقى منها يتسم بسماة أكثر شمولاً وأعمق غورا . واشد ما ييغضه ان يكره الطلبة على تقبل نظرياته ، كان يقول لنا : « على ان ابين ، باحاطة ، ان استطعت ، وعليكم ان تختاروا الاتجاه الذي افضتتم به » . يشير الى هذا في مقدمة الكتاب فيقول : وسيلحظ القارئ الكريم أيضا انني اطلت الحديث عن الثنائية : لغة / كلام ، ذاكرا كل التيارات المفروقة الآن في الباب ، دون ان اتحيز لاحداها وان كنت افضل في قرارة نفسي واحدة من بينها على جميعها ، علما مني انه يحسن بنا نحن الباحثين الا توجه ، على الأقل ، في دروسنا الجامعية ، الطالب الى منهج معين في الدرس اللغوي ترتضيه ، بل واجبنا ان نشرحها جميعها ، وللطالب ، بعد ذلك ، ان يختار الرشد من الغي على بينة واقتناع .

وكم هو عزيز عليه التراث في هذا البحث اللساني

الذي غزانا دون ان نستعد له كما يجب .

كان يقول لنا : عفرنا اننا كنا غير مستعدين لتقبله ، لكن ، أصبح الآن من أقدس المقدسات ان نشهر عن ساق الجد ، فندرسه كله ، دون استثناء ، وندخله في نشاطنا ، كما ادخله غيرنا غير مشوه ولا ناقص ، ونشهر على ترفيته كما يسهرون ، وتوسع ميدان تطبيقه كما يفعلون . ولكن كل ذلك مع الحفاظ على كل ما يمكن الحفاظ عليه من تراثنا اللغوي الملائم للعصر ومتطلباته .

يقول في مقدمته لكتاب « الثنائيات اللسانية : وليس المهم ان نلحق بهم على الفور ، وانما المهم ان نلحق بهم وزادنا معنا ، ان نلحق بهم ونلحق من نحن ، عرب نهوى البحث العلمي ونعمل على نشره ، صانعا تزيينا بمنزها عن كل تعرض . المهم ان نلحق بهم وقد اوسعنا المناهج الحديثة في الدرس اللغوي بحثا ووعينا ما تركه لنا الاجداد وعيا يؤهلنا للتمييز بين جيده وورديه ، غنه وسمينه . بذلك فقط تتمكن من المشاركة بنصيبنا في ازدهار هذا العلم من جديد ، علم تقاعسنا عنه وتركناه لمن لا يرحم يعبث به كما طاب له .

أما اجتهاداته التي كان مبتكرا حقا فيها ، فهي كثيرة في هذا الكتاب وما نعتقد ان احدا من الدارسين سيكون في حاجة الى مرجع آخر لمعرفة كل ما يتعلق بالثنائيات الحديثة التي يتبها فيها الكثير . امر واحد يمكن ان نؤاخذ الدكتور التهامي الراجي عليه هو انه لم يثبت في هذا العدد الثالث المصطلحات المعربة في العددين السابقين . اذ سيكون من الصعب على قارئه الرجوع دائما الى صفحات العددين يتقبلها كلها للمثور على مبتغاه .. ورجاؤنا ان يتدارك هذا في احد اعداده المقبلة .